اسم ولقب المؤلف المراسل: دة. شميسة خلوي / الصفحات: من 61 إلى: 74
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715

توظيف الموروث التاريخي في شعر محمد العيد آل خليفة -نماذج مختارة-

EMPLOYING THE HISTORICAL HERITAGE IN THE POETRY OF MUHAMMED AL-EID AL-KHALIFA -SELECTED MODELS-

دة. شميسة خلوي
جامعة الجزائر2 (الجزائر)
soumicha.khaloui@univ-alger2.dz

*****

تاريخ الإيداع: 2021/08/11 تاريخ القبول:2021/12/04 تاريخ النشر: 2021/12/01

الملخص:

تتعدد آفاق تلقي النصوص وتختلف حسب طبيعة المدونة المدروسة والحاجة إلى الأداة الإجرائية لتحليل وتفكيك رموزها، وإبراز جمالياتها، من ذلك الكشف عن الخطابات المتعدِّدة في الخطاب الواحد على مستويات مختلفة، الدينية والأدبية والتاريخية والتراثية وغيرها، أو ما يعرف بالتناص.

ومن خلال هذه الورقة البحثية نروم كشف بعض مظاهر التناص التاريخي في الخطاب الشعري لمحمد العيد آل خليفة بمختلف تجلياته، سواء ما تعلق بالشخصيات أو الأزمة أو الأحداث ذات الطابع التاريخي، حيث ألفينا الشاعر وقد أحاط بالتاريخ وتمكن من استحضاره أدبيا.

الكلمات المفتاحية: التناص؛ الشعر؛ التاريخ؛ محمد العيد آل خليفة؛ الجزائر.

***ABSTRACT* :**

There are many ways of receiving texts and they differ according to the nature of the text being studied and the need for the method to analyze its symbols and highlight its aesthetics, including the knowledge of the multiple discourses in one discourse, at different levels, religious, literary, historical, heritage and others, Or what is known as intertextuality.

Through this research paper, we aim to show some aspects of historical intertextuality in the poetic discourse of Muhammad Al-Eid Al Khalifa in its various manifestations, whether related to personalities, crisis or events of a historical nature, where we found the poet has surrounded history and was able to evoke it literary.

Keywords: *intertextuality; poetry; history; Muhammad Al-Eid Al Khalifa; Algeria*

مقدمة:

يعتبر الشعر من المصادر التي تؤرخ الحدث وتسجله للأجيال، ولا نعدم تلك العلاقة الوطيدة بين التاريخ والأدب عموما، «فقد كان التاريخ ولا يزال منهلا عذبا يمنح الشعر منحا وهو معين فريد لا ينضب أبدا، لأنه ترجمان الحياة الإنسانية وسجل الأمة في منشطها ومكرهها»[(1)]، والحديث عن التناص التاريخي في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر هو حديث عن النتاج الأدبي لأدباء جيل الثورة من أمثال محمد الأمين العمودي

(ت: 1957م) ومفدي زكريا (ت: 1977م) ومحمد العيد آل خليفة (ت: 1979م) وأحمد سحنون (ت: 2003م) وأبو القاسم خمار، وجيل الاستقلال كأحمد شنة وعز الدين ميهوبي، وغيرهم من أدبائنا، حيث اعتبر الموروث التاريخي مادة خصبة ومصدرا أساسيا من مصادر تجاربهم الشعرية، وأدبنا الجزائري يزخر بقامات أدبية لا يزال البحث في مكنونات تجاربها الشعرية والنثرية قائما، ومن هؤلاء الذين نعتز بما خلَّفوه من تراث أدبي زاخر نلفي "محمد العيد آل خليفة"، وليس غريبا أن تُطبع أعماله بالطابع التاريخي، لأن الشاعر الجزائري - خصوصا في الحقبة الموافقة لتواجد الاحتلال الفرنسي على أرض الجزائر والفترة التي تلتها-، واكب الأحداث التاريخية، وكان له الدور التاريخي الهام في مسارات الجزائر.

ومن جهة أخرى، معلوم تأثر الأدباء بمخزونهم الثقافي ومكتسباتهم القبلية التي تظهر عبر أشكال مختلفة في إبداعاتهم، وهذا ما نسميه التناص في أنساقه المختلفة، الأدبية والدينية والتاريخية والتراثية.

ومما تقدم، سنخصص هذه الصفحات للكشف عن مختلف التناصات التاريخية التي حفلت بها نصوص الشاعر الجزائري "محمد العيد آل خليفة"، مبتدئين العمل بترجمة موجزة للشاعر ثم الجانب التطبيقي من درسنا بالرجوع لديوان الشاعر.

أولا: ترجمة محمد العيد آل خليفة (ت:1979م)

محمد العيد آل خليفة[2] ولد بعين البيضاء في العام 1323هـ/ 1904م، وتوفي سنة 1399هـ/ 1979م، نشأ شاعرنا بين أحضان أسرة محافظة.

قرأ القرآن الكريم ودروس اللغة العربية في الكُتَّاب، ثم انتقل رفقة أسرته إلى بسكرة العام 1918م، حيث أكمل دراسته على يد أعلام المنطقة كعلي بن إبراهيم العقبي، ثم توجه صوب تونس، حيث التحق بجامع الزيتونة، ليعود بعدها للوطن، ويشتغل في مهنة التدريس.

انكب شاعرنا على دراسة أمهات الكتب من تراثنا، فتزود برصيد هائل من الذخيرة اللغوية والأدبية.

كما اطلع محمد العيد على الحركة الإصلاحية في المشرق العربي، ولا سيما ما كتبه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، «ومعلوم ما كان من اقتداء الشعب الجزائري بما يجدُّ في الشرق العربي من أفكار واتجاهات وما يحدث فيه من هزات قومية سواء أكان عمادها الماضي ومجده أم الحاضر قلقه وتحفزه، وقد كان الشرق العربي غنيا بالتجارب العقلية والثورية منذ النصف الثاني من القرن الماضي»[3]، وقد استلهم هذا الفكر النهضوي، إلى أن أصبح أحد أعمدة المصلحين الجزائريين في تلك الفترة عن طريق جمعية العلماء المسلمين، عبر مختلف نشاطاتها.

وقد تأثر محمد العيد آل خليفة بالقرآن الكريم واللغة العربية، إذ إن لغته الفصحى طبعت تعابيره التي «صقلها الاستعمال ووضحت مدلولاتها حتى لا يختلف فيها اثنان»[4]، ناهيك عن تأثره بالقرآن الكريم والتاريخ العربي والإسلامي القديم منه والحديث، وهذا ما يظهر في أعماله الشعرية بشكل واضح جلي.

وليس معنى هذا أن الشاعر يسير في ركاب القديم مهملا الحديث، «بل هو يمزج بين الشكل القديم الجيد، والفكر الحديث النير كغيره من أدباء المرحلة، لأن الأدب العربي الحديث برمته عرف التوازن والمواءمة بين القديم والجديد، وبين التراث والتجديد، وبين الثبات والتطور وعليه نجد ديوانا منوعا ثريا بكل الخلفيات الثقافية التي تشبع بها شاعرنا.

مما قاله البشير الإبراهيمي واصفا أدب محمد العيد آل خليفة مثنيا عليه: «الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب، وشاعر الجزائر الفتاة، بل شاعر الشمال الإفريقي بلا منازع، شاعر مستكمل الأدوات، خصيب الذهن، رحب الخيال، متسع جوانب الفكر، طائر اللمحة، مشرق الديباجة، متين التركيب، فحل الأسلوب، فخم الألفاظ، محكم النسج ملتحمه، مترقرق القوافي، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء...»[5]، وهذه الشهادة من الإبراهيمي لأعظم دليل على تفوقه ومكانته بين أدباء الجزائر في العصر الحديث.

ويعد ديوان محمد العيد آل خليفة[6] أهم ما جمع من تراثه الأدبي، إذ يحتوي على قرابة (600) صفحة، تنوعت قصائده بين أدبيات وفلسفيات، أدبيات وقوميات، وأخلاقيات وحكميات، اجتماعيات وسياسيات، واللزوميات، والإخوانيات، والثوريات، والمراثي، والذكريات، والمتفرقات، الألغاز، والأناشيد.

ثانيا: التناص (سؤال المصطلح)

إنه لمن الصعب تمثل مفهوم موحَّد للتناص في الخطاب النقدي الغربي لأن أصوله متعددة الاتجاهات، لذلك فدلالة التناص تتغير من باحث إلى آخر، غير أن المتفق عليه هو كون بذرة التناص الأولى قام بوضعها ميخائيل باختين Mikhail Bakhtin (ت: 1975م) حين روَّج لمصطلحه الجديد (الحوارية / dialogism) والذي يدل على التشابه الحاصل بين تعبير ماثل وتعابير أخرى مشابهة، بحيث «يدخل فعلان لفظيان، تعبيران اثنان، في نوع خاص من العلاقة الدلالية، ندعوها نحن علاقة حوارية، والعلاقات الحوارية هي علاقات (دلالية) بين جميع التعبيرات التي تقع ضمن دائرة التواصل اللفظي»[7].

والواقع أن الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا Julia Kristeva (ت:1941م) هي أولى من اعتمدت مصطلح التناص، وذلك استنادا إلى الإرث النظري الذي تركه باختين، وقد ظهر المصطلح في أبحاث لهذه الناقدة بين

عامي (1966-1967) في مجلتي: "Telquel" و"critique" ثم أعادت نشرها في كتب مستقلة، وتنطلق كريستيفا في بسط رؤيتها حول التناص من كون النص «ترحالا للنصوص وتداخلا نصيا»[8].

أما التحول النوعي الذي مرَّ به التناص فقد أتى على يد الناقد الفرنسي جيرار جينيات Gérard Genette (ت: 2018م) الذي وسَّع هذا المفهوم النقدي من خلال أبحاثه، تحديدا في كتابه (أطراس / palimpsestes) حيث درس التعالي النصي الذي قال إنه «كل ما يضع النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى»[9]، وعليه فالنص هو تركيب من نصوص غائبة أخرى.

ثالثا: الموروث التاريخي في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة تطبيقية لنماذج مختارة):

لقد اعتبر ديوان محمد العيد سجلا مختصرا لمختلف الأحداث التاريخية والمناسبات الوطنية والاجتماعية، وللتاريخ الجزائري والعربي والإسلامي عموما لما احتواه من إشارات صريحة وأخرى ضمنية تسوق القارئ إلى عوالم التاريخ بشخصياته وأمكنته وأزمنته.

وعليه سنقوم بدراسة تطبيقية لمجمل ما ورد في الديوان من تناصات تاريخية، والتي سنقسمها إلى ثلاثة أقسام، التناص التاريخي المتعلق بالشخصيات ودلالاتها، التناص التاريخي المتعلق بالأزمنة المرتبطة بالأحداث ودلالاتها، وأخيرا التناص التاريخي المتعلق بالأمكنة ودلالاتها.

ونشير إلى أن المعلومات التاريخية استقيناها من مجموعة من المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ الجزائر القديم والحديث[10]، على شاكلة: تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمن الجيلالي، و تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، و تاريخ الجزائر في القديم والحديث لمبارك الميلي، وغيرهم.

1. التناص التاريخي المتعلق بالشخصيات ودلالاتها:

طريقة عملنا في الجانب التطبيقي هي رصد نماذج مختلفة من التناصات التاريخية المعبرة عن الشخصيات، ونختار منها شخصية لنحلل طريقة توظيفها من قبل شاعرنا محمد العيد آل خليفة، وعليه جاء الجدول الأول على النحو الموالي:

الجدول رقم (01)، نماذج من التناصات التاريخية (الشخصيات)

الشخصية التاريخية	دلالتها التاريخية	الصفحة من الديوان
مالك بن نبي	(1905-1973م) من أعلام الفكر الإسلامي العربي والجزائري تحديدا في القرن العشرين.	196

	-التوظيف: إشارة إلى كتاب (الظاهرة القرآنية) الذي ألفه الأستاذ مالك بن نبي واستعان به المسلم الجديد على تحقيق مباحثه الإسلامية.	
أحمد باي	(1784-1856م) الحاج أحمد باي قسنطينة -التوظيف: زار شاعرنا مدينة قسنطينة، منبع الحركات العلمية والوطنية، فأقام له تلامذته حفلا عبروا به عن تقديرهم لأستاذهم، وألقى فيه هذه القصيدة الوطنية. وفيها كعادته نصائح عالية، وإرشادات حكيمة، ووصف لمدينة قسنطينة، وتشريح للداء والدواء. وظف على أنه آخر بايات قسنطينة	308
الأمير المجاهد	(1808-1838م) الأمير عبد القادر بن محي الدين (عبد القادر الجزائري) مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، عرف بمقامته للاستدمار الفرنسي. -التوظيف: هذا القصيد الرائع نظمه الشاعر بمناسبة نقل رفات رمز الكفاح الجزائري الأمير عبد القادر من سوريا إلى أرض الوطن في جويلية 1966م.	457
مصطفاه	يقصد به: الشهيد مصطفى بن بولعيد (1917-1956م) مجاهد جزائري يعد أحد أهم قادة ثورة أول نوفمبر الخالدة. التوظيف: ألقيت هذه القصيدة، في الاحتفال الذي أقيم بمدينة (باتنة) على شرف البعثة الأزهرية ونشرت بمجلة المعرفة لوزارة الأوقاف. عدد (14) ربيع الثاني 1384هـ أوت 1964م.	208
فحل مصر	يقصد به: الشاعر حافظ إبراهيم (1872-1932م) شاعر مصري لقب أيضا بشاعر النيل وشاعر الشعب. التوظيف: وظفت القصيدة لتكون واحدة من القصائد المكرّمة لتمجيد شاعرية حافظ إبراهيم بقاعة الخلدونية في حاضرة تونس الخضراء في شهر	411

	جمادى الأولى سنة 1351م، وناب عنه في إلقاءها طالب جزائري لعدم تمكن الشاعر من الحضور بنفسه. وقد اشترك في هذه الحفلة شعراء من أقطار الغرب العربي: الجزائر، تونس، ليبيا.	
البشير الإبراهيمي	(ت: 1306هـ/1889م) رفيق ونائب عبد الحميد بن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين، مصلح وأديب أريب. -التوظيف: القصيد الخالد الذي ألقاه شاعر المغرب العربي وشيخ شعرائه الأستاذ "محمد العيد" في الحفل الشعبي الرهيب الذي أقامه الشعب الجزائري لتوديع الراحل الكبير، الإمام المصلح ورائد الثقافة العربية في العالم العربي والإسلامي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، رحمه الله ورضي عنه في الخالدين وذلك أمام ضريحه بمقبرة "سيدي أمحمد" بالجزائر العاصمة يوم الجمعة 20 محرم 1385هـ - 21 ماي 1965م.	442
أحمد شوقي	(1868م – 1932م) كاتب وشاعر مصري في العصر الحديث، يلقب بـ "أمير الشعراء" التوظيف: نظر الشاعر متأملا صورة أمير الشعراء أحمد شوقي وهو مسند رأسه إلى يده في حالة تفكر عميق ففاقت شاعريته بهذه الأبيات.	470
النجيب	(1293 هـ /1876م - 1377هـ/1958م) يقصد به الشيخ الخضر بن الحسيني الجزائري، عالم جزائري جليل. التوظيف: تهنئة الأزهر بشيخه الجديد قيلت هذه القصيدة في تهنئة الأزهر بمشيخة الشيخ الخضر بن الحسيني الجزائري الأصل، ونشرت في العدد 208 من جريدة البصائر سنة 1952.	190
محمد	محمد بن أبي شنب الجزائري (1869-1929) التوظيف: رثى الشاعر بهذه القصيدة العالم البحاثة الدكتور محمد بن أبي شنب الجزائري، وقد نشرت في كتاب ألفه الأستاذ عبد الرحمن الجيلالي بعنوان	409

اسم ولقب المؤلف المراسل: دة. شميسة خلوي / الصفحات: من 61 إلى: 74
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715

	(ذكرى بن أبي شنب) سنة 1933م.	
الشاذلي خزندار	فقدت تونس شاعرها الكبير الشاذلي خزندار .. وفي حفلة التأبين التي أقامها النادي الأدبي للجمعية الرشيدية بتونس العاصمة ألقيت هذه القصيدة نيابة عن الشاعر، نشرت في العدد (261) من جريدة البصائر سنة 1954م.	434

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الديوان

من خلال الجدول المعروض حاولنا بسط مجموعة من الشخصيات التاريخية التي برزت في مختلف المجالات، والتي وظفها محمد العيد في ديوانه، ونقف عند قوله:

إِنَّ ذِكْرَى (مُحَمَّد) نَار مُوسَى * * * سَوْفَ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهَا اَلْخَيْرُ يَتْرِىْ [11]

يشير محمد العيد آل خليفة بقوله (محمد) إلى العلامة الجزائري محمد بن أبي شنب الجزائري[12]، وهي التفاتة طيبة من رجل يعرف حق المثقفين ورواد الفكر، وقرن الخبر بنار موسى عليه السلام المتجلية في قول تعالى "إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (7)" (النمل: 27)، وكأن محمد العيد آل خليفة يشيد بعلم أبي شنب بتشبيهه بالنار الموقدة التي هي «دليل على وجود موقد لها؛ تستقى منه الأخبار، ويهتدى به إلى الطريق، ويستطعم "بِشِهَابٍ" شعلة مضيئة»[13]، وعليه ندرك أن توظيف شخصية هذا العلامة الجزائري لم يأت عبثا وإنما جاء ليدرك القارئ مكانته، بغية بقاء الوجه الثقافي للجزائر مشرقا في أعين الأجيال.

2. التناص التاريخي المتعلق بالأحداث التاريخية ودلالاتها:

بنفس الطريقة السابقة، نحاول رصد مختلف التناصات التاريخية المعبرة عن الأزمنة المرتبطة بالأحداث، ونختار منها حدثا زمنيا كنموذج:

الجدول رقم (02)، نماذج من التناصات التاريخية (الأحداث)

الحدث التاريخي	دلالته التاريخية	الصفحة من الديوان
حمتك يد المولى وكنت بها أولى ... فيا لك من شيخ حمته يد	التوظيف: هذه القصيدة تسجل قصة الإعتداء الشنيع المدبر على حياة الأستاذ الإمام الشيخ عبد الحميد ابن باديس بمدينة قسنطينة، وخلاصة الحدث: ان	118

المولى...	"مريدا" من مريدي طريقة صوفية معروفة، اعترض سبيل الأستاذ الإمام ليلا، فانقض عليه بالعصا ثم جرد خنجرا أراد أن يأتي به على حياة الشيخ، ولكن الشيخ استطاع- بإرادة الله وقوته- أن يأخذ بتلابيب المعتدي ويديه، ويحول درنه وبين تنفيذ الجريمة التي انتدب إليها، إلى أن وصل بعض المارة فأنقذوا الشيخ وسلموا المعتدي للسلطات ثم عفى عنه الشيخ وأعلن عفوه عنه أمام مسئولي العدالة آنذاك.	
هات البشائر للجزائر هاتها... إن الجزائر أبصرت غاياتها...	التوظيف: احتفلت جمعية العلماء الجزائريين يوم 8 نوفمبر 1953م بافتتاح مؤسسة، "دار الطلبة".	308
اليوم أسدي على نول من الأدب... مطار في من خيوط الشمس للشهب...	التوظيف: هذه القصيدة حيا بها الشاعر طلبة شمال افريقيا المسلمين عند انعقاد مؤتمرهم الثاني بعاصمة الجزائر وألقاه عليهم في حفلة تكريمية بنادي الترقي في 27 أوت سنة 1932م وقد نشرتها جمعية الطلبة بنشرتها السنوية في نفس الوقت.	211
أغار على الكنانة شر عاد... فقل: يا مصر حي على الجهاد...	-التوظيف: في سنة 1952 ألغيت معاهدة 1936 التي كانت قيدا لمصر، فقام الانجليز بأحداث مؤلمة في منطقة القتال، فردت مصر على ذلك بإعلان الجهاد لاسترداد حقها بالسلاح. وقد شاركت الجزائر شقيقتها مصر آلامها ومشاعرها بهذه القصيدة على لسان شاعرها محمد العيد.	311

	ونشرت القصيدة في العدد 179 من جريدة البصائر سنة 1952م.	
أول نوفمبر	-التوظيف: الذكرى العاشرة لفاتح نوفمبر ألقيت في حفلة إحياء ذكرى الثورة ليلة غرة نوفمبر 1964م. ونشرت بالعدد 17 من مجلة المعرفة لوزارة الأوقاف الجزائرية في ذي القعدة 1384هـ مارس 1965م.	442
فوز سرت بحديثه الركبان... فالشرق مغتبط به جذلان...	-التوظيف: استقلال السودان: يتجاوب الشاعر محمد العيد مع الأحداث العربية في كل جزء من الوطن العربي، وهذه إحدى قصائده يحي فيها استقلال السودان الشقيق. وقد نشرت في العدد (355) من جريدة البصائر سنة 1956م.	321
دهى (عنابة) ومواطنيها... بخطب هز أركان البلاد...	التوظيف: إثر الانفجار المريع الذي وقع في ميناء عنابة وكان سببا في كارثة ذهب ضحيتها عشرات الأرواح البشرية جادت شاعرية شاعرنا بهذا القصيد. وقد نشرت بمجلة (المعرفة) لوزارة الأوقاف العدد (13) ربيع أول 1384 هـ/ جويلية 1964م.	440

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الديوان

اسم ولقب المؤلف المراسل: دة. شميسة خلوي / الصفحات: من 61 إلى: 74
Available online at https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715

إن الجدول المعروض عبَّر عن مجموعة من الأحداث التاريخية التي برزت في مختلف المجالات، والتي وظفها محمد العيد في ديوانه، ونقف عند قوله:

هَاتِ اَلْبَشَائِرِ لِلْجَزَائِرِ هَاتِهَا ... * ... إِنَّ اَلْجَزَائِرَ أَبْصَرَتْ غَايَاتِهَا

عَقَدَتْ لَهَا عَزَمَاتُهَا فَمَنْ اَلَّذِي ... * ... غَيْرَ اَلْإِلَه يَحُلُّ مِنْ عَزَمَاتِهَا ؟[14]

إن إبصار الغايات وعقد العزمات في البيتين مرتبط باحتفال جمعية العلماء الجزائريين يوم 8 نوفمبر 1953م بافتتاح إحدى مؤسساتها العظيمة، "دار الطلبة" التابعة لمعهد عبد الحميد بن باديس بمدينة قسنطينة، المخصصة لسكنى طلبة المعهد، وقد تم تشييدها على نمط عصري صحي في موقع عظيم من مواقع قسنطينة التاريخية، وقد جهزت تلك الدار بجميع اللوازم المريحة للطالب، من أسرة ودواليب ومطابخ ومسخنات للتدفئة، وتيسير المطالعة على الطالب، وكان يوم الاحتفال يوما مشهودا تمثلت فيه الجزائر العربية المسلمة بمقاطعاتها الثلاثة، كما اشتركت فيه الوفود من تونس وغيرها. وتجلت فيه عظمة جمعية العلماء، وعظمة الشعب المستجيب لدعائها.

وفي هذا الاحتفال المؤثر المهيب الذي هو إرهاص لما بعده من أحداث وطليعة من طلائع الثورة الحالية، وقف الشاعر فألقى هذه القصيدة في جو فياض بالإحساسات الجياشة.

3. التناص التاريخي المتعلق بالأماكن ودلالاتها:

ننتقل لرصد مختلف التناصات التاريخية المعبرة عن الأزمنة المرتبطة بالأحداث، وننتقي منها حدثا زمنيا لنرى كيف وظفه الشاعر في منجزه الشعري المتميز:

الجدول رقم (03)، نماذج من التناصات التاريخية (الأمكنة)

المكان التاريخي	دلالته التاريخية	الصفحة من الديوان
فلسطين	-التوظيف: وظفت فلسطين للدلالة على نكبة فلسطين في جمادى الأخيرة سنة 1367هـ	303
أبا المنقوش	-التوظيف: هذه القصيدة ناجى به الشاعر جبل (بومنقوش) القريب من بسكرة جنوب الجزائر موثقا في أيام إقامته الإجبارية.	388
تمقاد	التوظيف: "وقفة على تمقاد" للدلالة على خرائب مدينة رومانية عظيمة، شادها الرومان	318

	في سفوح جبال أوراس الشمالية ليردوا بها غارات البربر المتحصنين بتلك الشواهق، على السهول والمزارع التي استعمرها الرومانيون، وأطلالها اليوم مجلى للعبر، ولا يزال مسرها قائما بمدرجاته، وشوارعها ظاهرة للعيان على تخطيطها الروماني، ولا تزال آثار الحصون المبثوثة حولها، ماثلة للعيون تشهد للرومان بالعظمة. نشرت في العدد 293 من جريدة البصائر سنة 1954.	
بحر الجزائر	-التوظيف: تذكر مختلف الأحداث التي مرت على المنطقة.	22
الأصنام	-التوظيف: للدلالة على الزلزال الذي أصاب مدينة الأصنام، نشرت بجريدة البصائر عدد 288 سنة 1954م.	66
تلمسان	-التوظيف: أنشد الشاعر هذه القصيدة، يوم الاحتفال العظيم بافتتاح مدرسة (دار الحديث) بتلمسان وكان الاحتفال مشهودا، حضره أعضاء جمعية العلماء كلهم، وجميع الهيآت العاملة في الجمعية من مدرسين وشعب، وتمثلت فيه جمعية العلماء بصورتها الحقيقية، وقدرتها الإنشائية. وحضرها نحو عشرين ألفا من أتباعها، ووفود من تونس ومراكش وذلك في خريف سنة 1937م.	76
فرنسا	-التوظيف: دعوتها لرد حقوق الجزائريين التي سلبتها، وقيلت القصيدة قبل اندلاع ثورة نوفمبر.	268
وادي السان (فرنسا)	-التوظيف: مناجاة للدلالة على ما فعلته فرنسا بالجزائر والجزائريين.	

المصدر: من إعداد الباحثة اعتمادا على الديوان

حاولنا عرض مجموعة من الأماكن التي تعتبر من التناصات التاريخية المتباينة عبر قصائد محمد العيد آل خليفة، ونقف عن الجدول المعروض من الأحداث التاريخية التي برزت في مختلف المجالات، والتي وظفها محمد العيد في ديوانه، ونقف عند قوله:

فِلَسْطِين اَلْعَزِيزَة لَا تَخَافِي ... * ... فَإِنَّ اَلْعَرَبَ هَبُّوا لِلدِّفَاعِ

بِجَيْشٍ مُظْلِمٍ كَاللَّيْلِ غَطَّى ... * ... حِيَالَكَ كُل سَهْلٍ أَوْ يَفَاع[15]

تعد النكبة الفلسطينية[16] لعام 1948م، واحدة من أكثر الأحداث الهامة في التاريخ الإسلامي والتي تدخل تحت جملة الصراع العربي الإسرائيلي بفلسطين، كانت نتائجه كارثية لا سيما على مستوى تفاقم أزمة اللاجئين وتشريد الكثير من الفلسطينيين بعد إنشاء دولة إسرائيل المزعومة.

ونخلص في الأخير إلى القول: إن الميزة الأساسية في التناص التاريخي، سواء ما تعلق بالشخصيات أو الأماكن أو الأحداث عبر قصائد محمد العيد آل خليفة، تمثلت في توظيف ما تعلق بالجزائر ثائرة ومستقلة، في الحرب كما في السلم، وهذه ميزة مشتركة بين جل أدباء تلك الفترة، فقد كان «الأدب جملة وتفصيلا هو أدب مقاومة، ذلك أن أدباء الجزائر عبروا عن هذا الصراع الكامن في أعماقهم بين اللسان الناطق والوجدان النابض، بين الحضارة الجديدة التي جرت مجرى الدم في عروقهم، حتى اختلط بدمائهم التي فجرت فيها الحياة النقطة الأولى من صلب الأسلاف»[17]، ويبقى التاريخ منهلا عذبا يعطي الشاعر مساحة أكبر للتعبير ليكون فيما بعد سجلا للأمة.

. خاتمة:

إن توظيف شاعرنا للموروث التاريخي الجزائري العربي والإسلامي له دلالات كثيرة، لعل من أهمها:

- إحاطته بالتاريخ وتمكنه من استحضاره أدبيا.
- كما يدل أيضا على نجاح الخط العربي الإسلامي لغة وتاريخا، والذي كان عاملا من العوامل التي بفضلها دوَّلت القضية الجزائرية وعرفت، ولا سيما بين الأقطار العربية الإسلامية التي تدين بنفس الدين وتتحدث نفس اللغة.
- وقد نجح محمد العيد آل خليفة في ايصال صوت الجزائر المحتلة للمتلقي بقلمه النابض حبا للجزائر، ونحن نراه قد صهر الأحداث بزمانها ومكانها وشخصياتها في البنية العامة للنص الشعري، مبرزا رؤيته الثاقبة لما يدور حوله مستشرفا المستقبل.

- إن النماذج التي اخترناها تعبر عن المنحى التاريخي للديوان، ويمكن رصد كل النماذج في بحث مطوَّل وتكون نتائجه أعمق.

هوامش البحث:

(1) محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، العطف، غرداية، الجزائر، 1987م، 219.

(2) تنظر ترجمة محمد العيد آل خليفة: أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب، 1984م، 86، ومحمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشؤ، عين مليلة، الجزائر، 2010م، المقدمة، وعادل نويهض معجم أعلام الجزائر -من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر- ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ - 1980م، 307-308، ومحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، تكملة معجم المؤلفين، وفيات (1397 - 1415 هـ) (1977 - 1995 م) ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1418هـ - 1997م، 590/588.

(3) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م، 24.

(4) محمد مصايف، فصول في النقد الأدبي الجزائري الحديث، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، 19.

(5) بلقاسم دفة، الجملة الإنشائية في ديوان محمد العيد آل خليفة –دراسة نحوية دلالية- 1413هـ/ 2010م، 17-18.

(6) محمد العيد محمد علي خليفة، الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 2010م.

(7) تزفيتان تودوروف، المبدأ الحواري: دراسة في فكر ميخائيل باختين، ترجمة: فخري صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1992م، 82.

(8) Kristéva , Julia , Sémiotike , recherche pour une semanalyse , Edition du Seuil , Paris , 1969,52.

(9) المختار حسني، نظرية التناص، مجلة علامات في النقد، مج 9، ج 34، 1999م، 235.

(10) من المراجع المعتمدة في توثيق المعلومات: ديوان محمد العيد آل خليفة، و أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900م، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، وتاريخ الجزائر الثقافي، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر، 2007م، ومبارك بن محمد الميلي الجزائري، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، 1406هـ - 1986م، عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ودار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1384هـ/1965م، وغيرها.

(11) محمد العيد محمد علي خليفة، الديوان، 409.

(12) ولد في مدينة المدية (الجزائر)، وتوفي بالجزائر العاصمة، بدأ حياته العملية معلمًا بإحدى مدارس القرى القريبة من مدينته، إلى أن عيّن العام 1903م مدرسًا بكلية الآداب بجامعة الجزائر وترقى فيها إلى أستاذ محاضر ثم أستاذ رسمي (1924) بعد أن حصل على الدكتوراه وظل يشغله حتى وفاته، له ما يقرب من الخمسين عملاً تتنوع بين المقال والترجمة والتحقيق وشروح الكتب فضلاً عن مؤلفاته في اللغات: التركية والفارسية والإيطالية والتاريخ،
وقد عرف بنشاطاته العلمية والأكاديمية في مجال تحقيق الكتب التراثية ونشرها، وفي مجال الاستشراق، والترجمة أيضا، إذ كان يحسن عدة لغات على شاكلة العبرية والإيطالية والإسبانية والألمانية واللاتينية والفارسية والتركية، ينظر: عبدالرحمن الجيلاني: محمد بن أبي شنب حياته وآثاره -المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر 1983م، وأبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي - بيروت 1988م.

(13) محمد عبد اللطيف بن الخطيب، أوضح التفاسير، ط6، المطبعة المصرية ومكتبته، رمضان 1383 هـ- فبراير 1964م، 377.

(14) محمد العيد محمد علي خليفة، الديوان، 194.

(15) المصدر السابق، 194.

(16) ينظر: صلاح الدين المنجد (بحث علمي في أسباب هزيمة 5 حزيران)، ط2، دار الكتاب الجديد، 1968م.

(17) عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ/ 1991م، 112.